

لماذا ترك لنا الله سفر الرؤيا؟

سلسلة تفسير سفر الرؤيا، الجزء الثاني (أ)

المتروبوليت أثناسيوس (ليماسول)

قلنا في المرّة السابقة إنّنا سنتحدّث، بمعونة الله، عن رؤيا القديس الرسول والإنجيليّ المجيد يوحنا اللاهوتيّ. لقد أخذنا على عاتقنا مهمّةً صعبةً للغاية، فهي تتطلّب الكثير من الانتباه والصلاة لكي يحفظنا الربُّ ولا يسمح لنا بالتفوّه بأيّ قولٍ خاطئٍ.

نحن لا نقرأ سفر الرؤيا لتقييم ظروف عصرنا، أو لمعرفة الأحداث المستقبلية، أو لنكتشف كم بقي لنا من السنين. إنّ لرؤيا القديس يوحنا اللاهوتيّ هدفاً محدّداً، وهو مساعدتنا على الاقتراب من الله، ومنحنا رجاءً مباركاً وقناعةً بأنّ الله هو الذي سيغلب في النهاية، وأنّ الأشخاص الذين يملكون الرجاء والصبر سيكونون مع الله إلى الأبد.

فلنبدأ بالإصحاح الأوّل. كُتِبَ سفر الرؤيا منذ نحو ألفي عام، وهو آخر أسفار العهد الجديد، وآخرها كتابةً من حيث التسلسل الزمنيّ. لننظر ماذا يقول الرسول يوحنا في الآية الأولى:

«إعلانُ يسوعَ المسيح، الذي أعطاهُ إياهُ اللهُ، ليُريَ عبيدَهُ ما لا بُدَّ أن يكونَ عن قريبٍ، وبينَهُ مُرسلاً بيَدِ ملاكِهِ لعبدِهِ يوحنا» (رؤيا 1:1).

كما يذكر النصّ، يحتوي هذا السّفر على الإعلان الذي أعطاه اللهُ لیسوعَ المسيح ليُريَ عبيدَهُ ما هو آتٍ عمّا قريب. تعني لفظة "إعلان" أنّه كان ثمّة شيءٌ مجهول، مخفيٌّ تحت حجاب، والآن يُكشَف. إذًا، يعطينا اللهُ إعلان يسوع المسيح.

يقول المسيح في الإنجيل إنّّه لا أحد يعرف متى ستأتي نهاية العالم، لا أحد، ولا حتّى الابن؛ لا الملائكة ولا الابن. وهنا نتحدّث عن الإعلان الذي أعطاه اللهُ لیسوعَ المسيح. لم يعطِ اللهُ هذا الإعلان لیسوعَ المسيح لأنّ

ثمّة شيئاً يجهله، أو لأنّ الآب يخفي شيئاً عن الابن؛ ففي مواضع أخرى من الأسفار المقدّسة يُذكر أنّ كلّ ما للآب قد أعطاه للابن، ويعرف الابن كلّ شيء، وما من مجهولٍ لديه. لكنّ يجب أن نعلم أنّ طبيعتي المسيح غالباً ما تظهران في الكتاب المقدّس؛ فكثيراً ما يتصرّف المسيح بوصفه إلهاً، وأحياناً أخرى يتصرّف بوصفه إنساناً. اختبر المسيح في طبيعته البشريّة الجوع والعطش، وتعب ونام ومات، لأنّه كان إنساناً أيضاً. بوصفه إلهاً، أقام نفسه وأقام آخرين، وصنع المعجزات وأظهر قوّته الفائقة الطبيعة. وبوصفه إنساناً، سأل: "أين وضعتم لعازر؟"، لا لأنّه لم يكن يعلم، بل لأنّ طبيعته البشريّة كانت تُظهر خصائصها. المسيح هو إنسانٌ تامٌّ وإلهٌ تامٌّ.

تعني عبارة "إعلان يسوع المسيح، الذي أعطاه إياه الله" أنّ المسيح نال هذه المعرفة بوصفه إنساناً، لأنّ طبيعته غير منفصلتين فيه. المسيح هو الإله-الإنسان. لقد تلقّت طبيعة المسيح البشريّة هذه الرؤيا من ألوهيته، وهي تكشف لعبيده كلّ ما سنقرأه [في السّفر]. يُعطى هذا الإعلان لعبيد الله.

ذكرنا في المرّة السابقة أنّ الكثير من الأنبياء الكذبة قد ظهوروا في أيّامنا هذه. هم كثيرٌ الآن، وسيزدادون عدداً مع اقترابنا من النهاية. وظهور الأنبياء الكذبة هو إحدى علامات الأزمنة الأخيرة. ومع أنّهم ليسوا بأنبياء، فهم سيبدون كذلك. لكنّ وحده من هو عبدٌ لله يمكنه أن يكون نبياً، ولا أحد غيره. والعبد هنا ليس شخصاً أسيراً أو مُستعبداً أو خاضعاً أو تابعاً مسلوب الحرّيّة، بل هو إنسانٌ قديسٌ ونقيّ، تحرّر من الأهواء والخطايا، فصار حضوراً نعمة الروح القدس يملك في جسده ونفسه، وفي ذهنه وقلبه. يكشف المسيح أسراره لعبيده وحدهم، لا لأحدٍ غيرهم. وحدهم رجال الله القديسون يمكنهم تلقيّ الإعلانات من الله، وهم وحدهم القادرون على تفسيرها، لأنّ الإعلان -أي كلام الله- يُعطى من الله بالروح القدس. يُدوّن القديسون هذه الكلمات ويتناقلونها شفهيّاً، ووحدهم يمكنهم شرحها شرحاً صحيحاً، وهذا سبب وجود الكثير من الهرطقات.

يرغب الأشخاص المستعبدون للأهواء في تفسير الكتاب المقدّس، مُحركين بالأناثيّة والجموح وروح التمرد. وبما أنّهم لا يملكون روح الله القدّوس، ولا طهارة الذهن والقلب، ولا التواضع، يريدون تفسيره على هواهم. وأحياناً تسمعون ما هو "مضحكٌ ومُبكٍ" في آن. قد تتساءلون: «من أين يأتي المرء بهذه الأفكار؟ ألا يدرك أنّ هذا هراء؟». غير أنّ الكبرياء تُعمي ذهنه، فينطق بأقوالٍ كهذه من دون أن يدرك ذلك.

وثمة أشخاص رزينون جدًا في الحياة العامة، لكنهم في الوقت عينه، يقرؤون باهتمامٍ ما يُسمى «كتب التنبؤات». ما الأمر الحاصل هنا؟ هم ببساطة يملكون الروح عينها التي يملكها مؤلفو هذه الكتب والأفكار؛ لديهم روح الأنانية والكبرياء والمجد الباطل. لذلك، لا يستطيع الله أن ينيهم، فيقعون ضحايا أمثال هؤلاء المؤلفين. أمّا الإنسان المتواضع والنقي القلب الذي يختبر (test) كل شيءٍ ويطلب مشيئة الله، فإنّ الله ينيه ويرشده في حياته. يفهم إنسان كهذا ما هو حقٌّ وما هو باطل. وحتى لو ارتبك في أمرٍ ما، فلن يتركه الربّ الذي يرى نيته الصالحة.

لقد التقيتُ بأشخاصٍ أذكيا ومتعلّمين ولديهم مكانة اجتماعية، ومع ذلك يؤمنون بأمرٍ طائشةٍ وتافهة، وأذهلني هذا. وعندما تحاولون فهم السبب، يتبيّن أنّهم مصابون بروح الكبرياء.

وكنْتُ على معرفةٍ برجلٍ كان يؤمن باستمرارٍ بنبوءاتٍ كاذبة (وتوزّع الكثير من هذه الكتب في أيامنا). قال لي ذات مرّة: "أتعلم، كان من الممكن أن أصبح شخصيّة استثنائية في الكنيسة، مثل الأب بايسوس أو الشيخ بورفيروس، لو انتهى بي الأمر في صفوف الرهبان أو في جوّ الكنيسة أو ضمن سلك الكهنوت". لقد بدأ يصدّق هذه النبوءات الكاذبة كلّها لأنّ روح الكبرياء والغطرسة كانت تسكن فيه، ما جعله ساذجًا إلى درجة تصديق أمورٍ كهذه.

غالبًا ما ينشر النبوءات الكاذبة أشخاصٌ يعانون من اضطراباتٍ نفسية، ويبدأون هم أنفسهم في تصديق أنّهم أنبياء. ولكن ما الذي يجعلكم تصدّقون نبوءاتهم؟ هذا يشير إلى وجود خللٍ ما.

أتذكّر معلّم يوغا كان الناس يؤمنون بأنّه "إله". هذا كانت لديه هواية جمع سيارات "رولز رويس"، وكان يملك أربعين أو خمسين سيّارة في مرأبه. طلبتُ من شابٍّ أن يُريني صورةً لهذا "الغورو" (المعلّم) الذي يعتبره هؤلاء -وهم متعلّمون وليسوا بسطاء- إلهًا. أحضروا الصورة، وماذا رأيت؟ رأيتُ رجلًا في الثانية والأربعين من عمره، ناجحًا وثريرًا. هل هذا هو حقًا الإله الذي خلق السموات والأرض؟ إله العالم كلّه؟ ماذا يمكننا أن نقول في هذه الحالة؟ يا ربّ ارحم! لا تعرفون ماذا يجب أن تقولوا. أهذا هو "الإله" -في سيّارة رولز رويس، مع حسابات مصرفية وطائرات خاصّة للسفر؟ لكنّ الناس صدّقوه. فبسبب الكبرياء والغطرسة والمجد الباطل، سمح الربّ لأذهانهم إمّا بنشر نبوءاتٍ كاذبةٍ أو بتصديقها. إنّهُ عصر "الخدیعة الروحية". ماذا يمكننا أن نقول؟ نُخبر الذين يحضرون إلى الكنيسة -وهم أشخاصٌ فاضلون وذوو خبرة- بأنّ هذه كلّها أمورٌ سيّئة.

هل تتذكرون عندما ظهر "ميكى ماوس" على جدارِ هنا في ليماسول (في تراخوني)؟ ذهب الجميع لرؤيته. أنا لم أر شيئاً. قصد الجدار أناسٌ أكثر جديةً وقداسةً ونظروا، وكان لكلّ رجال الله موقفٌ واحدٌ فقالوا إنّ هذا ليس أمرًا جدياً، وليس من الله. والتأم أعضاء المجمع المقدّس وناقشوا الأمر وقالوا إنّ الله ليس من الله؛ لا تصدّقه ولا تشغلوا به، فهو حيلةٌ وخدعةٌ وربّما أمرٌ شيطانيّ. ومع ذلك، لا يزال هناك أشخاصٌ اليوم ممّن يريدون أن يكونوا في الكنيسة، ويشتركون في المناولة المقدّسة، ولكنهم يصدّقون هذه الأمور! على الرغم ممّا أعلمكم به رجالٌ مُحترَبون وذوو حياةٍ مُقدّسة، تستمرّون في تصديق ما رُسم على الجدار.

إذا بدأتُم في التعرف إلى هؤلاء الأشخاص على نحوٍ أفضل، ستدركون أنّهم لم يرتكبوا خطأً فحسب، فنحن جميعنا نخطئ. أمّا الاستمرار بعنادٍ في الخطأ فيعني أنّ الذهن "مخدوع". يحبّون هذا الوهم، ويجدون عزاءً في هذه الروح التي وصفها شيخنا الدائم الذكر بأنّها "صمّاء وبكماء". مهما تحدّثتم مع إنسانٍ واقعٍ في الضلال، فهو لن يسمع. ومهما قلّتم، فلن يتراجع عن رأيه. يمكنكم أن تصنعوا المعجزات أو تُقيموا الموتى أمام عينيه، وسيبقى على موقفه. هذه علامة الإنسان المخدوع: لا يمكن لشيءٍ أن يُخرجه من دائرة أفكاره. هو لا يقول: "أتعلم، يمكنني أن أخطئ؛ أنا مؤمن، ولكنني كإنسانٍ قد أكون في ضلال". إنّهُ لا يشكُّ مطلقاً في صحّة معتقداته. علامات الإنسان المخدوع هي المجد الباطل والعناد: "أنا أعرف، أنا أؤمن بشدّة، لقد درستُ واكتشفتُ الأمر، وهكذا أفهمه" - «أنا» وراء كلّ شيء.

مؤخراً، أخذ رجلٌ يلقي محاضراتٍ في ليماسول. هو طيبٌ ويروي قصصاً ممتعة، ويمتاز بالبلاغة والثقافة. جاء لرؤيتي لكي يخبر الآخرين لاحقاً بزيارته. تحدّث وتحدّث وتحدّث، وكان كلامه كلّهُ يدور حول نفسه. سألتُهُ إذا كان يذهب إلى الكنيسة، فقال إنّهُ من "السبتيين (Seventh Day Adventists)"، وهي هرطقةٌ بروتستانتية. تحدّث كثيراً، فقاطعتُهُ قائلاً: "سامحني، لكنك تتحدّث منذ ساعة تقريباً، وكنت طول الوقت تتحدّث عن نفسك: عمّا تفعله، وما تتحدّث عنه، وما تؤمن به. لقد قلت كلمة «أنا» خمسمئة مرّة حتّى الآن". ماذا يمكن أن يُقال هنا أيضاً؟ هكذا يكشف الواقعون في الخديعة عن أنفسهم.

يوجد مثلاً رائعٌ من سيرة القديس سمعان العموديّ. عندما صعد فوق العمود وقام بهذا العمل النسكيّ الذي لم يكن مألوفاً من قبل، قصده الآباء وقالوا له: "ماذا تفعل هناك؟ هذه هي المرّة الأولى التي نرى فيها أمراً

كهذا. أيّ نوع من النُّسك هذا - الجلوس فوق عمود؟». ولم يكن هذا العمود مثل أعمدة الهاتف، بل كان أشبه بالمتدنة.

لم يكن الآباء العائشين في الجوار يعرفون شيئاً عن هذا النوع من النُّسك، فقرّروا اختبار القديس سمعان ليعرفوا إذا كان ما يفعله من الله أم هو ضربٌ من الضلال. قرّروا الذهاب إليه وقول التالي: "يا أبانا، هذا أمرٌ خاطئ. لقد صعّدتَ إلى هناك على عمودك بدافع الكبرياء والأنانيّة. انزلْ ولا تفعل هذا ثانية". فإذا أطاعَ ونزل، يكون إنساناً متواضعاً يعيش لله، وحينها يتركونه يتابع نسكه. أمّا إذا لم ينزل وبدأ في التبرير قائلاً: "لقد فعلتُ هذا لأنّه ما قرّرتُه لنفسي"، فعندئذٍ سينزلونه بالقوّة لأنّه واقعٌ في الضلال.

ذهبوا إلى عموده وبدأوا يصرخون بأنّ ما يفعله لم يكن أمراً حسناً. فأجابهم القديس سمعان: "سامحوني أيّها الآباء. سأنزل ما دام هذا يبدو لكم سيئاً ومُعثرًا للآخرين. إذا كان هذا لا يُرضيكم، فسيُسعدني أن أنزل". وبدأ في النزول فوراً. حينها قال له الآباء: "اصعدُ ثانية، فإنّ أتعابك مرضيّة لله".

هذا ما يميّز الإنسان المخدوع عن رجل الله. يُعرّفُ رجل الله من خلال تواضعه، إذ لديه الاستعداد الدائم للتخلّي عن أفكاره وقراراته وأحكامه، ويُراجع باستمرارٍ تحليلاته قائلاً: "كنتُ أظنُّ أن هذا هو الصواب، لكنني إنسانٌ وقد أخطئ؛ أنا لا أعلم". هو يسأل الآخرين ويصغي إليهم. أمّا الأنانيّ المتكبر المخدوع والمزهو بنفسه فلا يستمع إلى أحد. يعتبر ما قاله القول الفصل، ولن يشكّ فيه مُطلقاً، ولن يقول البتّة: "لربّما كنتُ مخطئاً؟". هذه حالاتٌ قصوى بالطبع، ولكن لا تظنّوا أنّ الإنسان الضالّ "يهبط من السماء" أو يصبح هكذا بين عشية وضحاها. يسقط الإنسان في الضلال لأنّه منذ الطفوليّة يتعلّم تدريجيّاً أن يتصرف بأنانيّة، ويتعلّم المجد الباطل والغطرسة. إنّ الإنسان المتكبر الذي يستمع إلى نفسه فقط وليس لأحدٍ غيره، ينحدر إلى مستوى بهيميّ؛ فإذا تجرّأ شخصٌ على مجادلته أو قال له: «تعرف، لقد كنتُ مُخطئاً، لقد ارتكبت خطأً»، فإنّه يفقد أعصابه. ويسقط في الضلال تدريجيّاً.

نقلتها إلى العربيّة أسرة التراث الأرثوذكسيّ

Source: Metropolitan Athanasios of Limassol (2024). *Revelation: Removing the Veil*, Part 2A. Retrieved online from: OrthoChristian.org.